سورة النمل

obeikandl.com

﴿ سورة النمل ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾

وظن بعض الخارجين عن الأنظار الإلهية كالمجوس أن حدوث التجلى الإلهى فى النار وحولها جعلها إلهاً، وذلك لقوله تعالى: ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾.

وإنما حدث التجلى الإلهى فى النار لموسى عليه السلام، لكون كل من أراد أن يحوم حول التكلم مع الذات او ان يراها دخل من باب القهر والجلال، والنار هى أعظم مظاهر القهر والجلال، فلما علم الله من موسى أنه سيطلب رؤيته وأنه سيقع له الكلام معه أرهبه وأدخله من باب القهر والجلال.

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴿١٦﴾ ﴾

أى ورثه فى القطبانية والخلافة والإنابة عن الله تعالي.

﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

وهى ليست بالمعجزة الباهرة ففى أمة محمد ﷺ الكثير من الأولياء ممن تعلم منطق الطير والتكلم مع الحيوانات والطيور والكتب مشحونة بذلك، وورد فى السنة أن نبينا أفضل الصلاة والسلام تكلم مع الجمل.

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

الحشر إنما يكون لحضرة الله وهو لا يكون إلا يوم القيامة، وإنما حدث هاهنا لسليمان عليه السلام لكونه حشدا بالإنابة، وذلك لكونه فى مقام الخلافة الإلهية، فهو نائب عن الله فى الأرض.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

هو من باب تعليم الأدنى للأعلى ومن باب تعليم الأسفل للأرقى ،كتعليم الخضر لموسى عليه السلام، ولكن هاهنا فيه نكتة عجيبة وهو ألا يستهان بمخلوق متناهى الصغر كالنملة، فقد يجعلها الحق تعالى تلقى حكمة فى قلب نبى كسليمان عليه السلام، وذلك ليعلم مدى قدرة الله تعالى.

فأراد الحق تعالى أن يبعث إليه رسالة يقول فيها: يا من طلبت ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدك سوف أعلمك بنملة تافهة، وسوف أبعث إليك بالحكمة الإلهية على يدها، لتكون رسولى إليك وصدق العامة عندما قالوا:" يجعل سره فى أضعف خلقه".

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا

﴿ تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

فها هنا علمته النملة مقام الشكر، فذكره أصغر المخلوقات بشكر خالقه، ومن لا تنسيه الحكمة الصغيرة شكر خالقه فالكبيرة أولى به.

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

ولما أعطى الحق سبحانه وتعالى مقام الإنابة عنه لسليمان، جوز له أن يؤدب رعيته كيف يشاء، وهل تستحق غيبة الهدد عن سليمان أن يعذبه عذابا شديداً أو أن يذبحه؟.

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

وهذا يدل على أن الإحاطة العلمية والغيبية المطلقة إنما هي لله سبحانه وتعالى، وكيف يخاطب طير نبياً ويقول له: أحطت بما لم تحط به إلا لكونه ينطق من حضرة الله تعالى بهذا الكلام ؟

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾

هذا يدل على كمال أدبها وعدم تفردها برأيها.

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ

﴿ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

ولكنها رضى الله عنها لم تنظر إلى كلامهم حيث قالوا: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد، فلم ترَ لقوتها شأناً ومعنى يذكر، بل خالفتهم النظر وعملت الحكمة الإلهية وما يقتضيه الموقف .

والملوك هى الواردات الإلهية المحطمة لعزة القلوب لأجل إخضاعها إلى أعتاب علام الغيوب .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

فآثر المدد المعنوى على المدد الحسى .

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قال لهم ذلك لتنزهه عن هذا المقام ولعلو مقامه عن أن يتصرف فى هذا المقام، وكذلك لوجود من هو أقل منه مقاماً فيتصرف بالنيابة عنه .

﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

هو من باب المكر الإلهى .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

إعلام بحضرة السبق العلمية .

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

سبقهم بمحبته إياهم، فقرن حمده بتسليمه على أحبابه الذين اصطفى.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

واعلم أيدنى الله وإياك برحمة وروح منه أنه ﷺ لما كان عظيم الوسع، جميع بين ضدين: بين حزنه عليهم وبين حزنه من تأذيه من مكرهم وخداعهم، فإنه ﷺ الرحمة المهداة لأهل زمانه وكان يتمنى أن يؤمن به من فى الأرض كلهم جميعاً .

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾

أى جميع ما قدر على ذرات الوجود من معلومات لوحية.

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

وذلك لا تصافهم بصفات الدواب وانقطاع الرسالة والنبوة حينذاك، ولكون أهل ذلك الزمان يصبحون كالأنعام والدواب يتسافدون فى الطرقات كتسافد الحمر والدواب، فكان رسولهم من شاكلتهم، وذلك لكون آدمية النبوة سقطت حرمتها من قلوبهم، فهم كالأنعام بل هم أضل، فضن عليهم الحق أن يبعث إليهم نبياً لكرامة الأنبياء على الله .

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ

﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴿٨٧﴾ ﴾

والاستثناء هاهنا لأهل المحبة، لأنهم آمنون من الفزع، ولأنهم بمحبتهم نائلون لأمان الله.

﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

خاضعين خضوع طاعة، ومنفذين لكل ما أراده الحق سبحانه من الأعيان فيما اقتضاه علمه القديم فيهم.

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

الجبال هم أساطين العارفين، الذين لا يعرفون فى الأرض ولا يؤبه لهم، إذا رأوا لم يعرفوا أو إذا فقدوا لم يسأل عنهم وإذا مرضوا لم يعادوا، أولئك ضنائن الله فى الأرض.

فمن رأى هؤلاء ظنهم فى جمود، أى فى الصورة المذكورة أعلاه لخمول ذكرهم بين الناس، فقال عنهم تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾، ثم أعلمنا الحق تعالى أن هذه صورتهم الظاهرة هى فقط لأهل الحجاب، وأما حالهم الباطن فهم فى سير مطلق إلى حضرة الله كسير السحاب ومروره فى السماء، وعن هذا عبر إمام الحضرة أبو القاسم الجنيد رحمه الله، لما كان فى سماع فقاموا كلهم يرقصون ويتواجدون وهو جالس لا يبدى حراكاً فسألوه: لماذا أنت جالس هكذا ؟ فقال: وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ

ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾

هؤلاء أصحاب العدو الإحصاء، وهم يحاسبون يوم القيامة هكذا، وهذا خلافاً لأهل القربى أصحاب الأعمال القلبية، فالمثقال من أعمالهم بأطنان من حسنات أهل الإحصاء والعد، فالمقربون يعبدون الله بالسر والمتقون يعبدون الله بالمحاسبة، والمحاسبة من شأنها العد والإحصاء.

obeikandl.com